الأسرار العقلية
في الكلمات النبوية

كل الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

الأَسْرَارُ العَقْلِيَّةُ
فِي الكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ

تأليف الإمام

مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين
تقي الدين أبو العز المقترَح
(ت٦١٢هـ)

تحقيق

نزار حمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ الإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ مُحْدِثٍ، وَهُوَ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ رَبٍّ مُدَبِّرٍ، وَهُوَ لَا يَزَالُ يَعْمَلُ عَلَى اسْتِكْمَالِ نَفْسِهِ بَاطِناً وَظَاهِراً، وَمُحْتَاجٌ لِمَنْ يُرْشِدُهُ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي بِهِ يَحْصُلُ هَذَا الِاسْتِكْمَالُ، وَكُلُّ أَمْرٍ يَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَى عَمَلِ عَامِلٍ، وَالعَمَلُ إِذَا كَانَ لَهُ غَايَةٌ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَالِمٍ بِحَقِيقَةِ العَامِلِ لِيُوصِلَهُ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَا عَالِمَ بِحَقِيقَةِ المَخْلُوقَاتِ حَقَّ العِلْمِ إِلَّا خَالِقُهَا، فَمَنْ هُوَ أَوْلَى مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَضَعَ لِلإِنْسَانِ غَايَتَهُ وَطَرِيقَ الوُصُولِ إِلَيْهَا!

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إلى الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ ـ شَرَائِعَ لِهِدَايَةِ البَشَرِ إِذَا عَمِلُوا بِهَا، وَالْتَزَمُوهَا، عِلْماً وَعَمَلاً، وَجَعَلَ الإِسْلَامَ خَاتِمَ الأَدْيَانِ شَامِلاً لِكُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعُودَ بِالنَّفْعِ عَلَى الإِنْسَانِ بِالكَمَالِ فِي رُوحِهِ وَجِسْمِهِ. فَالعَاقِلُ هُوَ مَنْ الْتَزَمَ الدِّينَ، وَلَزِمَهُ.

وَخَيْرُ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ هُوَ عِلْمُ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ بِهِ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ أَخَصَّ صِفَاتِ نَفْسِهِ، وَيَعْلَمُ بِهِ مَا يَجِبُ لِرَبِّهِ وَمَا يَجُوزُ وَمَا يَسْتَحِيلُ، وَيَعْلَمُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ فِي الشَّرْعِيَّاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ العُلَمَاءَ سَمَّوا هَذَا العِلْمَ بِعِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَهُ أُصُولٌ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الأَحْكَامِ وَالتَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصْدِيقَاتِ، وَإِنْ اخْتَلَّتْ هَذِهِ المَعَارِفُ اخْتَلَّ تَدَيُّنُ الإِنْسَانِ؛ لِاخْتِلَالِ فَهْمِهِ لَهَا، فَأَمَّا القُرْآنُ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ مَحْفُوظٌ بِحِفْظِ اللهِ تَعَالَى. فَلَا يَنْحَفِظُ دِينُ الإِنْسَانِ إِلَّا بِإِقَامَةِ الدِّينِ عِلْماً وَعَمَلاً بِبِنَائِهِ عَلَى أُصُولِهِ الصَّحِيحَةِ، وَقَدْ اجْتَهَدَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي تَنْقِيَةِ العَقَائِدِ وَتَصْوِيبِ الآرَاءِ وَنَقْدِ المَذَاهِبِ حَتَّى وَصَلُوا بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ إِلَى أَحْسَنِ المَذَاهِبِ وَأَعْدَلِهَا. فَكَانَ يَنْبَغِي عَلَى الحَصِيفِ أَنْ يَقُومَ بِدِرَاسَةِ مَا نَقَّحُوهُ وَالإِحَاطَةِ عِلْماً بِمَا هَذَّبُوهُ.

وَقَدْ كَتَبُوا كُتُباً مُتَعَدِّدَةً مِنْهَا المُطَوَّلُ وَمِنْهَا المُخْتَصَرُ وَمِنْهَا المُتَوَسِّطُ، وَأَوْدَعُوا فِيهَا زُبَدَ العَقَائِدِ، وَأُصُولَ الأَحْكَامِ، وَنَوَّعُوا أَسَالِيبَهَا لِكَيْ تَرُوقَ وَتَقْرُبَ مِنَ أَذْهَانِ النَّاسِ وَأَرْوَاحِهِمْ، فَيَتِمُّ لَهَا القَبُولُ وَتَحْصُلُ بِهَا الفَائِدَةُ دُنْيَا وَآخِرَةً، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

وَمِنْ هَذِهِ الكُتُبِ مَا خَطَّتْهُ يَدُ الإِمَامِ المُقْتَرَحِ؛ بَلْ رُوحُهُ وَقَلْبُهُ، وَمَا أَحْسَنَ مَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الدُّرَرِ وَالفَوَائِدِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَّا مَنْ خَاضَ فِي الكُتُبِ وَعَرَفَ زُبْدَتَهَا وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ كِتَابٍ وَمِنْهَا كِتَابُ: «الأَسْرارُ الْعَقْلِيَّةُ فِي الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ»، لِيَعْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الكُتُبِ صَفْوَتَهَا، وَاشْتَمَلَ عَلَى خُلَاصَتِهَا

وَغَايَتِهَا، حَتَّى يَظُنَّ المَرْءُ أَنَّهُ مَا تَرَكَ أَصْلاً إِلَّا وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا شَذَّ عَنْهُ إِلَّا النَّادِرُ، هَذَا مَعَ صِغَرِ حَجْمِهِ وَلُطْفِ عِبَارَتِهِ وَحُسْنِهَا.

وَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ بِالكِتَابِ مُنْذُ زَمَانٍ بَعِيدٍ فِي أَثْنَاءِ الكُتُبِ وَالحَوَاشِي، وَكُنَّا نَقْرَأُ بَعْضَ النُّقُولَاتِ الَّتِي يَنْقُلُهَا العُلَمَاءُ عَنْ مُؤَلِّفِهِ الإِمَامِ المُقْتَرَحِ، فَنَهشُّ لَهَا وَنَبشُّ، وَكُنَّا نَعْجَبُ مِمَّا يَصُوغُهُ مِنْ عِبَارَاتٍ حَسَنَةٍ وَعَظِيمَةِ الفَائِدَةِ، وَنَتَطَلَّعُ إِلَى الحُصُولِ عَلَى كِتَابٍ لَهُ كَامِلٍ مَطْبُوعٍ لَيَعُمَّ النَّفْعُ بِهِ، وَيَسْتَفِيدُ الخَلْقُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ وَبَيَّنَهُ، حَتَّى أَخْبَرَنَا الأَخُ الفَاضِلُ الأُسْتَاذُ العَامِلُ نِزَار حَمَّادِي أَنَّهُ قدْ انْتَهَى مِنْ تَحْقِيقِ كِتَابٍ مُخْتَصَرٍ لِلإِمَامِ المُقْتَرَحِ وَهُوَ: «**الأَسْرَارُ العَقْلِيَّةُ**» أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا، فَلَمَّا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ وَقَرَأْتُهُ انْبَهَرْتُ مِمَّا فِيهِ مِنْ الفَوَائِدَ وَعَظِيمِ العَوَائِدِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ لَطِيفَةٍ وَمُوجَزَةٍ.

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَكْتُبَ خَصَائِصَ هَذَا الكِتَابِ لَطَالَ بِنَا الأَمْرُ، وَلَكِنَّا نُشِيرُ إِلَى بَعْضِهَا:

فَمِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّهُ اسْتَنْبَطَ فِيهِ مُؤَلِّفُهُ العَقَائِدَ أُصُولاً وَفُرُوعاً بِنَاءً عَلَى كَلِمَاتٍ وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ وَالنُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ، وَهِيَ الحَمْدَلَةُ وَالسَّبْحَلَةُ وَالتَّكْبِيرُ وَالحَوْقَلَةُ وَكَلِمَةُ الشَّهَادَةِ. وَقَدْ أَبْدَعَ عِنْدَمَا أَوْجَزَ أَوَّلاً مَعَانِيهَا، لُغَةً وَدَلَالَةً، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ خُلَاصَةِ أَدِلَّةِ العَقَائِدِ جُمْلَةً لَا تَفْصِيلاً، حَتَّى إِنَّ الوَاحِدَ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ لَيَكْتَفِي فِي تَحْصِيلِ أُصُولِ الِاسْتِدْلَالَاتِ بِقِرَاءَةِ المُوجَزِ مِمَّا كَتَبَهُ هَذَا الإِمَامُ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ كُلِّهِ بَلْ أَتْبَعَهُ بِالبَيَانِ التَّفْصِيلِيِّ بِلَفْظٍ مُوجَزٍ عَذْبٍ مُسْتَعْذَبٍ.

وَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ التَّدَرُّجِ قَدْ اتَّبَعَهُ العَدِيدُ مِنَ العُلَمَاءِ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ، أَعْنِي تَنَوُّعَ الأَسَالِيبِ بَيْنَ إِيجَازٍ وَتَطْوِيلٍ، وَدَوَرَانَهَا بَيْنَ إِجْمَالٍ وَتَفْصِيلٍ، وَلِذَلِكَ كَتَبَ العُلَمَاءُ المُتُونَ ثُمَّ شَرَحُوهَا، وَكَتَبُوا المُخْتَصَرَاتِ وَالمُطَوَّلَاتِ، وَلِيَتَنَاسَبَ تَنَوُّعُ أَسَالِيبِهِمْ فِي البَيَانِ وَالشَّرْحِ وَالِاسْتِدْلَالِ مَعَ الأَمْزِجَةِ المُخْتَلِفَةِ وَالأَذْوَاقِ المُتَنَوِّعَةِ لِبَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُحِبُّ التَّفْصِيلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمِيلُ إِلَى الإِيجَازِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدَقِّقُ وَيُحَقِّقُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَقِّقُ، وَهَكَذَا؛ بَلْ إِنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ فِي الأُسْلُوبِ مَأْخُوذٌ أَصَالَةً مِنْ بَلَاغَةِ القُرْآنِ العَظِيمِ وَكَلَامِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَحَادِيثِهِ البَلِيغَةِ، فَفِي القُرْآنِ تَفْصِيلٌ وَإِيجَازٌ، وَتَنَوُّعٌ فِي الأَسَالِيبِ إِلَى دَرَجَةِ الإِعْجَازِ، وَبِذَلِكَ تَمَّ الجَمْعُ بَيْنَ الهِدَايَةِ وَالإِعْجَازِ، لِيَقُومَ عَلَيْهِ الرُّشْدُ وَالهِدَايَةُ، وَبِذَلِكَ اقْتَدَى عُلَمَاءُ الأُمَّةِ فِي كِتَابَاتِهِمْ لِيُقَارِبُوا وَيُسَدِّدُوا.

فَإِنَّهُ يَكْفِي المُصَنِّفَ أَنْ أَحَاطَ بَجَمْعِ الفَوَائِدَ المُتَفَرِّقَةَ فِي كُتُبِ الإِمَامِ الجُوَيْنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي قُوَّةِ فِكْرِهِ وَدِقَّةِ نَظَرِهِ، فَالتَّأَثُّرُ الوَاضِحُ بِالإِمَامِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى كُتُبِهِ ظَاهِرٌ لِلنَّاظِرِ، وَلَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي رَأْيِ الإِمَامِ المُقْتَرَحِ فِي إِثْبَاتِ دَلِيلِ حُدُوثِ العَالَمِ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى دَلِيلِ الجَوَازِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ الَّذِي قَرَّرَهُ الإِمَامُ الجُوَيْنِيُّ فِي: «**العَقِيدَةِ النِّظَامِيَّةِ**»، وَكَذَلِكَ دَلِيلِ الوَحْدَانِيَّةِ وَاسْتِحَالَةِ تَعَدُّدِ وَاجِبِ الوُجُودِ، وَدَلِيلِ صِفَةِ الكَلَامِ، وَدَلِيلِ العِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَدِلَّةِ.

وَلَكِنْ اعْتِمَادُهُ عَلَى آرَاءِ الإِمَامِ الجُوَيْنِيِّ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُ مُقَلِّدٌ لَهُ؛ بَلْ إِنَّ أَثَرَ الِاجْتِهَادِ وَالِاسْتِقْلَالِ الفِكْرِيِّ فِي نَظَرَاتِهِ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا

مُشَاغِبٌ، وَلَكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ نَقْدَهُ لِرَأْيِ إِمَامِ الحَرَمَيْنِ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الأَفْعَالِ، وَمُنَاقَشَتَهُ إِيَّاهُ فِي الصِّرْفَةِ، وَتَوْجِيهِ دَلِيلِ الجَوَازِ، وَمَسْأَلَةِ الِاسْتِرْسَالِ فِي العِلْمِ كَيْفَ حَرَّرَهَا بِدِقَّةِ عِبَارَاتِهِ، لِتَعْلَمَ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ الإِمَامَ المُقْتَرَحَ وَصَلَ إِلَى مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ النَّظَرِ وَالفِكْرِ.

عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُهْمِلْ غَيْرَهُ مِنَ العُلَمَاءِ الأَجِلَّاءِ، فَتَرَاهُ يَنْقُلُ عَنِ القَاضِي البَاقِلَانِيِّ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، وَعَن الأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الِاسْفَرَايِينِيِّ، وَيُقَيِّدُ أَقْوَالَهُمَا وَيُحَرِّرُ جِهَةَ القُوَّةِ وَالضُّعْفِ فِي كَلَامِهِمَا.

وَالإِمَامُ المُقْتَرَحُ لَيْسَ مُجَرَّدَ نَاقِلٍ لِمَا فِي كُتُبِ العُلَمَاءِ؛ بَلْ إِنَّهُ نَاقِدٌ أَيْضاً مُحَرِّرٌ دَقِيقُ النَّظَرِ، فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَمَعَ فِي الأَدِلَّةِ عَلَى حَدَثِ العَالَمِ بَيْنَ دَلِيلَيْ الجَوَازِ وَالتَّخْصِيصِ وَالتَّغَيُّرِ، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ نَقَدَ دَلِيلَ القَبُولِ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ العَدِيدُ مِنَ العُلَمَاءِ فِي إِثْبَاتِ صِفَتَيْ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَانْظُرْ كَيْفَ نَاقَشَ العُلَمَاءَ فِي آرَائِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الأَفْعَالِ، وَبَيَّنَ الوَجْهَ فِي أَخَصِّ وَصْفِ الإِلَهِ، وَراجَعَ قَوْلَهُمْ فِي مَسْأَلَةِ دَلَالَةِ الإِتْقَانِ عَلَى صِفَةِ العِلْمِ، وَكشَفَ عَنْ وَجْهِ الدَّلَالَةِ هُنَاكَ بِمَا تَمَيَّزَ بِهِ، وَحَرَّرَ مَآخِذَهُمْ بِأُسْلُوبٍ غَيْرِ مَوْجُودٍ إِلَّا فِي أَثْنَاءِ العِبَارَاتِ وَالإِشَارَاتِ التي تُصَادِفُها فِي كُتُبِ مُحَقِّقِي المَذْهَبِ مِنَ المُتَأَخِّرِيْنَ وَالمُتَقَدِّمِيْنَ، فَلَا يَحْظَى بِهِ الإِنْسَانُ إِلَّا بَعْدَ طُولَ تَأَمُّلٍ، يَذْكُرُهُ لَكَ وَهُوَ عَارِفٌ بِقِيمَتِهِ فَيُشِيرُ إِلَيْكَ إِلَى نَفَاسَتِهِ وَنُدْرَتِهِ لِتَحْرِصَ عَلَيْهِ وَتَتَعَلَّقَ بِالنَّظَرِ فِيهِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُ.

وَلَا يُهْمِلُ الإِمَامُ المُقْتَرَحُ لَفْتَ النَّظَرِ إِلَى أُصُولِ القَوَاعِدِ فِي عِلْمْ التَّوْحِيدِ كَمَا نَصَّ فِي غَيْرِ مَرَّةٍ عَلَى أَنَّ مَا صَحَّ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ وَاجِبٌ لَهُ، وَأَنَّ هَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مُعْتَمَدَةٌ عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مَا يَتَرَتَّبُ مِنْ أَحْكَامٍ. وَلَمْ يُهْمِلْ تَحْرِيرَ قَوَاعِدَ أَسَاسِيَّةٍ أُخْرَى كَمَسْأَلَةِ إِثْبَاتِ اسْتِحَالَةِ النَّقْصِ عَلَى اللهِ تَعَالَى بِالعَقْلِ لَا بِمُجَرَّدِ النَّقْلِ، وَبَيَّنَ فِي العَدِيدِ مِنَ المَسَائِلِ وَجْهَ الْاخْتِلَافِ وَعِلَّتَهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الفَلَاسِفَةِ، وَوَضَّحَ مَوْضِعَ الضُّعْفِ فِي دَلِيلِهِمْ، وَالقَدْرَ مِنَ المَعْنَى الَّذِي يَكْفِي فِي إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا فِي مَسْأَلَةِ الِانْفِصَالِ وَالِاتِّصَالِ فِي وُجُودِ العَالَمِ وَفِي كَثْرَتِهِ وَبَسَاطَتِهِ، وَمَسْأَلَةِ صُدُورِ العَالَمِ عَنِ الوَاجِبِ صُدُورَ المَعْلُولِ عَنِ العِلَّةِ عِنْدَهُمْ وَاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ لِوَجْهٍ مِنَ التَّمَاثُلِ بَيْنَ المَعْلُولِ وَالعِلَّةِ، وَهَذَا مِنْ دِقَّةِ نَظَرِهِ، وَوَضَّحَ مَا هُوَ القَدْرُ الَّذِي يَكْفِي لِإِقَامَةِ دَلِيلِنَا، وَوَضَّحَ خَطَلَ رَأْيِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ العِلْمِ بِالكُلِّيَّاتِ دُونَ الجُزْئِيَّاتِ، وَلَمْ يُهْمِلْ تَحْرِيرَ العِلَلِ فِي خِلَافِ النَّصَارَى وَاليَهُودِ فِي مَسَائِلِهِمْ ومَحلِّ مُخَالَفَتِنا لَهُمْ، وَقَدْ حَرَّرَ فِي كَلَامِهِ أُصُولَ الِاسْتِدْلَالِ بِالمُعْجِزَاتِ وَوَجْهَ دَلَالَتِهَا عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ دَلَالَةً عَادِيَّةً أَوْ عَقْلِيَّة، وَرَتَّبَ عَلَى كُلٍّ أَحْكَاماً وَأُصُولاً يَنْدُرُ أَنْ تُوجَدَ مُجْتَمِعَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ، وَوَضَّحَ أُصُولَ النُّبُوَّاتِ بِعِبَارَاتٍ جَلِيلَةِ القَدْرِ رَائِقَةِ اللَّفْظِ.

وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ أَنَّ بَعْضَ المُخَالِفِينَ إِنَّمَا يُخَالِفُونَ لِضُعْفِ قُوَّةِ تَعَقُّلِهِمْ كَمَا فِي جَانِبِ المُجَسِّمَةِ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى النَّاظِرَ بِأَنْ يَتَدَرَّجَ فِي تَفْهِيمِهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِأَحْوَالِهِمْ وَمَرْتَبَتِهِمْ فِي النَّظَرِ.

وَالحَقُّ أَنَّ الإِمَامَ المُقْتَرَحَ قَدْ أَبْدَعَ أَيْضاً فِي اخْتِيَارِ اسْمِ كِتَابِهِ

عِنْدَمَا سَمَّاهُ بِـ«**الأَسْرَارِ العَقْلِيَّةِ فِي الكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ**»، فَهُوَ فَاتِحَةٌ لَهذِهِ الأَسْرَارِ، وَتَقْدِيمٌ لَهَا إِلَى الفُضَلَاءِ الأَخْيَارِ، وَتَمْهِيدٌ كَافٍ يَتَنَبَّهُ بِهِ ذَوُو الفَضْلِ عَلَى جَلَالَتِهَا، وَعِنْوَانٌ بَارِزٌ عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الأُمَّةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّمَا اسْتَقَوْا عُلُومَهُمْ مِمَّا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الشَّرْعِ الحَنِيفِ، وَمِمَّا اسْتَمَدُّوهُ مِنْ مَعَانِي الكِتَابِ العَزِيزِ المُنِيفِ.

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَذْكُرَ لَكَ جَمِيعَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ هَذَا الكِتَابُ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهِ لَطَالَ بِنَا المَقَامُ، وَلَمَا أَوْفَى بِذَلِكَ إِلَّا وَضْعُ شَرْحٍ مُفَصَّلٍ عَلَيْهِ وَهُوَ لِذَلِكَ مُسْتَحِقٌّ.

وَلَا يَخْفَى عَلَى القَارِئِ الهُمَامِ أَنَّ أَثَرَ الإِمَامِ المُقْتَرَحِ فِي مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، وَلَوْ لَمْ نَذْكُرْ مِنَ المُعْتَمِدِينَ عَلَيْهِ الآخِذِينَ مِنْهُ وَالمُسْتَمِدِّينَ مِنْ تَدْقِيقَاتِهِ إِلَّا الإِمَامَ السَّنُوسِيَّ لَكَفَى وَوَفَّى فِي إِظْهَارِ جَلِيلِ قَدْرِ ذَلِكَ الإِمَامِ، وَهَذَا لِمَا لِلإِمَامِ السَّنُوسِيِّ مِنْ أَثَرٍ بَالِغٍ فِي المُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ أُصُولِ الدِّينِ جَمِيعاً.

وَنَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ النَّاسَ بِهَذَا الأَثَرِ الجَلِيلِ، وَأَنْ يَجْزِيَ أَخَانَا الأُسْتَاذَ نِزَار حَمَّادِي عَلَى مَا بَذَلَهُ مِنْ جُهْدٍ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الكَنْزِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ فِي يَوْمِ الدِّينِ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ.

كَتَبَهُ

سَعِيد عبد اللطيف فودة

وَلَيْسَ لَنَا إِلَى غَيْرِ اللهِ تَعَالَى حَاجَةٌ وَلَا مَذْهَبٌ

مقدمة التحقيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

الحَمْدُ للهِ الَّذِي تَحَيَّرَتْ فِي عَظَمَتِهِ الأَفْهَامُ، وَتَقَاصَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ أَحَدِيَّتِهِ الأَحْلَامُ، وَخَرَسَت الأَلْسُنُ عَنِ الخَوْضِ فِي كُنْهِهِ وَكَلَّتِ الأَقْلَامُ، وَبَهتَتْ أَبْصَارُ العُلَمَاءِ فِي عَجَائِبِ مَصْنُوعَاتِهِ وَانْدَرَسَتِ الأَوْهَامُ، وَأَقَامَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بَرَاهِينَ لَا تُحْصَى وَلَا تُرَامُ، فَسُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّأْنِ، الفَرْدِ مِنْ غَيْرِ ثَانٍ، الجَلِيِّ البُرْهَانِ، وَالوَاضِحِ السُّلْطَانِ، الَّذِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَى سُرَادُقَاتِ قُدْسِهِ شَائِبَةُ نُقْصَانٍ، تَقَدَّسَ عَنْ سِمَاتِ المُحْدَثَاتِ مِنَ التَّغَيُّرِ وَالِانْتِقَالِ، وَتَعَاظَمَ عَنْ صِفَاتِ المَخْلُوقَاتِ وَعَنِ الِاتِّصَالِ وَالِانْفِصَالِ، المُنَزَّهِ عَنِ الأَنْدَادِ وَالأَضْدَادِ وَالأَشْبَاهِ وَالأَمْثَالِ، المُتَّصِفِ بِصِفَاتِ الجَلَالِ وَنُعُوتِ الجَمَالِ، أَبْدَعَ العَالَمَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَجَعَلَهُ دَالّاً عَلَى وَصْفِهِ بِالعِظَمِ وَالإِجْلَالِ، وَأَثْبَتَهُ بُرْهَاناً سَاطِعاً عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ لِلِاسْتِدْلَالِ، وَرَقَّى نَوْعاً مِنَ البَشَرِ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الكَمَالِ، فَنَصَبُوا لِغَيْرِهِمْ الدَّلِيلَ وَأَوْضَحُوا السَّبِيلَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَشْرَفِ ذَلِكَ النَّوْعِ وَأَكْمَلِهِمْ خِصَالاً، وَأَرْجَحِهِمْ خِلَالاً وَأَفْصَحِهِمْ مَقَالاً، صَلَاةً وَسَلَاماً يُطَابِقَانِ مَا لَهُ مِنَ الكَمَالِ، وَيَدُومَانِ

مَعَ التَّلَازُمِ وَالِاتِّصَالِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَشْرَفِ صَحْبٍ وَأَكْرَمِ آلٍ.

وَبَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ العُقُولِ مُتَطَابِقُونَ، وَأَرْبَابَ النُّقُولِ مُتَوَافِقُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الرَّغَائِبِ بَهْجَةً وَجَمَالاً، وَأَرْفَعَ المَآرِبِ مَنْقَبَةً وَكَمَالاً: العِلْمُ الَّذِي هُوَ ثَمْرَةُ العَقْلِ الَّذِي هُوَ أَنْفَسُ الأَشْيَاءِ، وَحَيَاةُ القَلْبِ الَّذِي هُوَ رَئِيسُ الأَعْضَاءِ، وَأَشْرَفُ العُلُومِ وَأَرْفَعُهَا هِيَ العُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ وَالمَعَارِفُ الدِّينِيَّةُ؛ إِذْ بِهَا يَنْتَظِمُ الصَّلَاحُ لِلعِبَادِ، وَيُغْتَنَمُ الفَلَاحُ فِي المَعَادِ، وَعِلْمُ الكَلَامِ السُّنِّيِّ مِنْ هَاهُنَا أَعْلَاهَا شَأْناً وَأَقْوَاهَا بُرْهَاناً، وَأَوْثَقُهَا بُنْيَاناً وَأَوْضَحُهَا تِبْيَاناً؛ إِذْ فِيهِ تَحْصُلُ أَجَلُّ المَعَارِفِ وَأَعْلَاهَا، وَأَشْرَفُ المَقَاصِدِ وَأَوْلَاهَا، وَهِيَ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهَا بِآثَارِهِ وَآيَاتِهِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ الِاسْتِدْلَالَ فِيهِ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ المَعْقُولِ الصَّحِيحِ، طِبْقَ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى وَكَلَامِ الرَّسُولِ الفَصِيحِ.

وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ المُطَوَّلَاتِ الشَّرِيفَةِ وَالمُخْتَصَرَاتِ اللَّطِيفَةِ، سِيَّمَا أَهْلُ السُّنَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ الَّذِينَ بَلَغُوا فِي تَوْضِيحِ العَقَائِدِ أَقْصَى الغَايَاتِ، وَبَالَغُوا فِي تَحْرِيرِ المَقَاصِدِ وَتَقْرِيرِ القَوَاعِدِ وَبَيَانِ أَوْجُهِ الدَّلَالَاتِ، فَتَنَوَّعَتْ مَنَاهِجُهُمْ فِي التَّأْلِيفِ فِي العَقَائِدِ حَتَّى شَمِلَتْ جَمِيعَ المُسْتَوَيَاتِ، دَافَعُوا فِيهَا عَنْ أُصُولِ الدِّينِ وَقَامُوا بِآكِدِ فَرْضٍ مِنْ فُرُوضِ الكِفَايَاتِ، أَلَا وَهُوَ بَيَانُ القَوَاعِدِ الإِيمَانِيَّةِ بِالأَدِلَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ وَدَفْعُ كُلّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ التَّشْكِيكَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.

وَمِنْ أَهَمِّ المُخْتَصَرَاتِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي ذَلِكَ الشَّأْنِ: كِتَابُ: «**الأَسْرَارِ العَقْلِيَّةِ فِي الكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ**» لِلإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ المُلَقَّبِ بِالمُقْتَرَحِ، فَقَدْ ضَبَطَ فِيهِ أُصُولَ الِاسْتِدْلَالَاتِ العَقْلِيَّةِ عَلَى العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، اِنْطِلَاقاً مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ وَالإِشَارَاتِ المُصْطَفَوِيَّةِ، مُبْرِزاً فِي ذَلِكَ تَطَابُقَ مَدْلُولَاتِ الكَلَامِ النَّبِوِيِّ المَنْقُولِ مَعَ صَحِيحِ قَضَايَا العُقُولِ، وَهَا نَحْنُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى نُحَقِّقُهُ وَنَنْشُرُهُ لِمَا لَهُ وَلِمُؤَلِّفِهِ مِنْ كَبِيرِ الأَثَرِ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ، رَاجِينَ مِنْهُ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُلَمَاءَ أُصُولِ الدِّينِ خَاصَّةً وَسَائِرَ طَلَبَةِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

التعريف
بالإمام تقي الدين المُقترَح[1]
(ت٦١٢هـ)

.....

(١) مصادر الترجمة:
ـ فهرست اللبلي، ص٢٧، ٢٨. لأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري (ت٦٩١هـ). تحقيق ياسين عياش وعواد أبو زينة. دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان. ط١. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
ـ تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/١٢٨. تحقيق عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١. ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
ـ التكملة لوفيات النقلة، للمنذري ٢/٣٤٣.
ـ طبقات الشافعية، للتاج الدين السبكي ٨/٣٧٢. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي. نشر دار إحياء الكتب العربية.
ـ طبقات الشافعية، لعبد الرحيم الأسنوي (ت٧٧٢هـ) (٢/٢٤٣). تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
ـ الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) (٢٥/ ٣٩٨). تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. ط١. ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
ـ نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٩٠). تحقيق عبد العزيز السديري. مكتبة الرشد، الرياض. ط١. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. حيث قال ابن حجر: المُقْتَرَح. اسمه: مظفر بن عبد الله: الأصولي. مات سنة اثنتي عشرة وستمائة. وهو جدُّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد لأمه. اهـ.
ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (١/٤٠٩). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي والحلبي. ط١. ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م. =

اسمه ولقبه وكنيته:

هو: مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين الأنصاري الأزدي المصري الشافعي. يكنى بأبي العز، وبأبي الفتح، وبتقي الدين، ويلقب ويُعرَف بالمقترَح.

قال اللبلي (ت٦٩١هـ): «إنما لقب بهذا اللقب ـ أعني: المقترَح ـ لشدة كلَفه بالكتاب المسمى بهذا الاسم واعتنائه به، فإنه كان لا يفارقه وقتاً من الأوقات وعلى حالة من الأحوال، لا يزال ظاهراً في يده أو داخلاً في كمّه إلى أن شُهِر باسمه واستحق بمعرفته به وملازمته له وَسْمَه به»[1].

تاريخ ولادته ووفاته:

اختلف المترجمون للإمام المقترَح في تاريخ ولادته، ففي حين لم يذكر اللبلي ولا الذهبي ولا السبكي تاريخاً لذلك، شك الأسنوي في طبقات الشافعية بين سنة (٥٦٠هـ) و(٥٦١هـ)، واختار منهما الزركلي التاريخ الأول فأثبته في الأعلام، أمّا السيوطي فقد نقل أنه ولد سنة (٥٢٦هـ)، واقترب من هذا التاريخ كحالة في معجم المؤلفين فأثبته بسنة (٥٢٩هـ)، وليس لنا ما يمكّننا من القطع بالتاريخ

= ـ هدية العارفين (٢/ ٤٦٣).
ـ معجم المؤلفين، لكحالة (٣/ ٨٩٣).
ـ الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٥٦).
ـ كشف الظنون، لحاجي خليفة (ص١٧١١ ـ ١٧٩٣).

(١) فهرست اللبلي، ص٢٨.

الصحيح لولادته، غير أن إشارة وردت في: «شرح الأسرار العقلية» للشريف أبي يحيى مفادها أنه رحل إلى الاسكندرية أواخر القرن السادس والتقى فيها بالإمام المقترَح وأخذ عنه وهو شيخ قد ناهز من العمر الستين سنة[1]، ترجِّح اقتراب تاريخ السيوطي من الصحة، خلافاً لما أثبته الأسنوي. أما تاريخ وفاته، فلم يختلف المترجمون في أنها كانت سنة (٦١٢هـ).

شيوخه:

تلَقَّى الإمام المقترح العلوم عن أكابر علماء عصره فقهاً وحديثاً وأصولاً وخلافاً، ولئن لم تحفظ لنا كتب التراجم العديد منهم ففي ما ذكر من مشايخه كفاية لتصور الإطار العلمي المتميز الذي نشأ فيه. وفيما يلي ذكر لأبرزهم.

١ ـ شهاب الدين الطوسي (٥٢٢ ـ ٥٩٦هـ): برع في العلم، وقدم إلى مصر فنشر العلم ورفع عَلَمه، ووعظ وذكر، وكان إماماً جليلاً زاهداً ورعاً متقشفاً على طريق السلف مع رياسة تامة وعظمة عند الخاصة والعامة، كلمته نافذة، ومدار الفتيا بديار مصر عليه. تفقه على محمد بن يحيى وغيره من أصحاب الغزالي، وكان أمَّاراً بالمعروف نهّاء عن المنكر قائماً بنصرة مذهب الأشعري[2]. وعن

(١) اطلع على هذه المعلومة الأستاذ يوسف احنانة ونقلها في كتابه: «تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي» ص١٣٩.

(٢) انظر مثلاً: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (٦/٣٩٦).

طريق الشهاب الطوسي يتصل سند الإمام المقترَح بعقيدة شيخ أهل السنة والجماعة الإمام الأشعري، فقد ذكر اللبلي أن الإمام المقترَح أخذ علم أصول الدين عن شيخه الطوسي، وأخذ الطوسي عن شيخه محمد بن يحيى، وأخذ ابن يحيى عن شيخه الغزالي، وأخذ الغزالي عن شيخه أبي المعالي، وأخذ أبو المعالي عن شيخه أبي حامد الإسفراييني، وأخذ الإسفراييني عن شيخه الباقلاني، وأخذ الباقلاني عن شيخه الباهلي، وأخذ الباهلي عن شيخه الإمام أبي الحسن الأشعري.

٢ ـ محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله، أبو منصور البروي، الشافعي. (٥١٧ ـ ٥٦٧هـ) ولد بطوس، وتفقّه على محمد بن يحيى النيسابوري، وكان فقيهاً، واعظاً، عالماً بالخلاف والجدل، وكان إليه المنتهى في معرفة الكلام والنظر والبلاغة والجدل، بارعاً في معرفة مذهب الأشعري. وصنّف كتاب: «مقترح الطلاب في مصطلح الأصحاب» في الجدل والمناظرة، وهو الكتاب الذي حفظه الشيخ تقي الدين ولازمه حتى عرف باسمه[1].

٣ ـ أبو طاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسي بن عوف الزهري (٤٨٥ ـ ٥٨١هـ). ينتهي نسبه إلى عبد الرحمٰن بن عوف الصحابي الجليل. صدر الإسلام إمام عصره في الفقه على

(١) انظر مثلاً: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٦/٣٨٩)، طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/١٨).

مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وجمع إلى ذلك الورع والزهد وكثرة العبادة والتواضع ونزاهة النفس، وتفقه على الأستاذ أبي بكر الطرطوشي وبرع وفاق الأقران، وقصده السلطان صلاح الدين الأيوبي وسمع منه الموطأ، وكان شيخ المالكية في مدينة الاسكندرية طوال القرن السادس الهجري. سمع عنه الإمام المقترَح الحديث كما نقلت كتب التراجم، وأكد هو ذلك في: «الأسرار العقلية» كما سيقف عليه القارئ إن شاء الله تعالى في سند الحديث الذي بنى عليه العقيدة.

تلاميذه:

تجمع المصادر التي ترجمت للإمام المقترَح على أنه كان كثير الإفادة، منتصباً لمن يقرأ عليه، منصفاً لتلامذته، خافضاً لهم جناحه، فكان من ذلك أن تخرّج به جماعة كثيرة من العلماء، وفيما يلي أبرزهم:

ـ عبد الله بن محمد بن علي الفهري، المشهور بشرف الدين ابن التلمساني[1]. قال تلميذه اللبلي: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ نظاراً محققاً، وفي علم الأصوليين مدققاً، تخرج بشيخه الإمام المقترَح وسلك طريقته وبذَّ فيها صحابته، فاضلاً ديناً متواضعاً حسن الخلق كثير البشر»[2]. وقد صرح ابن التلمساني بأنه تلميذ الإمام المقترَح في موضعين من كتبه، أحدهما في تعليقه على معالم أصول الدين، والآخر في تعليقه

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ١٦٠).

(٢) فهرست اللبلي، ص٢٣.